المحاضرة:07 « الحجة في القراءات السبع »
لابن خـالويــه (ت 370هـ)

أولا: التعريف بالكاتب :

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، همذاني الأصل والمنشأ. دخل بغداد سنة 314هـ ليأخذ عن شيوخها . فتلقّى عن ابن مجاهد علوم القرآن الكريم والقراءات، وعن ابن دريد النحو والأدب . كما تلقّى عن ابن الأنباري وأبي سعيد السيرافي. هؤلاء الشيوخ كان لهم أثر كبير في تكوينه العلمي والثقافي. وتقدم في العلوم حتى كان أحد أفراد عصره، وكانت الرحلة إليه من الآفاق، واختصّ بسيف الدولة بن حمدان فحظي لديه ، وقرأ عليه آل حمدان وكانوا يجلونه ويكرمونه فانتشر علمه وفضله وذاع صيته، وله مع أبي الطيب المتنبي مناظرات، وبينهما منافسة في مجلس سيف الدولة به ، كما كانت المنافسة بينه وبين أبي علي الفارسي على أشدّها. توفي بحلب سنة 370هـ[1].

من مؤلفاته : كتاب ليس ، الآل، الاشتقاق ، الجمل في النحو، والبديع في القراءات، إعراب ثلاثين سورة ، المقصور والممدود ، المذكر والمؤنث، الألفات، شرح ديوان أبي فراس الحمداني[2].

كان لابن خالويه مكانة لغويّة ونحويّة كبيرتين ، وإليه يفِد الطلاب. فقد تتلمذ على ابن دريد صاحب « الجمهرة» وهو كتاب لغوي ثمين. وهو معروف بتذوقه وحسّه المرهف في إدراك أسرار اللغة[3].

ثانيا: التعريف بالكتاب:

1 ـ عنوانــه:

لم يشر ابن خالويه في مقدمته إلى العنوان ، إلا أنه أشار إلى أن كتابه في الاحتجاج . يقول:" وأنا بعون الله ذاكر من كتابي هذا ما احتجّ به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم"[1] . ومن ثم فالأنسب أن يُسمّى الكتاب بـ «الحجة» .

---

[1] . ينظر: معجم الأدباء ، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1993، 3 / 1030. ابن النديم، الفهرست، تح: إبراهيم رمضان ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1997، ص112.

[2] . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، 2 /179.

[3] . الحجة في القراءات السبع ، ص14 وما بعدها .

2 ـ مقدمته:

استهلّ ابن خالويه كتابه بمقدّمة قصيرة بيّن فيها ما تضمّنه هذا الكتاب من مادّة لغويّة ونحويّة، ووضّح منهجه وقرّاءه الخمسة. وتحدّث عن انفراد كلّ قارئ منهم بالحرف الذي قرأ به،ثم تابع حديثه عن طريقته في الاحتجاج،وعن منهجه عموما في الكتاب، والغرض منه[2].

3 ـ أسباب تأليفه :

لعلّ السرّ في تأليف الحجة لابن خالويه أنه أحسّ أن كتاب أبي عليّ، لا ينتفع به الخاصة فضلا عن العامّة، فحفزّه ذلك إلى تأليف كتابه في أسلوب سهل ممتع، وفي عرض مشرق جميل موجز. وينتفع به الناس . يقول:" قاصد قصد الإبانة، في اختصار من غير إطالة ولا إكثار... جامعا ذلك بلفظ بيّن جزل، ومقال واضح سهل، ليقرب على مريده، وليسهل على مستفيده"[3].

4 ـ مضمونه :

كتاب ابن خالويه في القراءات عند القرّاء الخمسة، والأمصار التي قرأوا بها هي: المدينة: بها قرأ نافع بن عبد الرحمن. مكة: بها قرأ ابن كثير. البصرة: بها قرأ أبو عمرو بن العلاء. الكوفة: بها قرأ عاصم بن أبي النّجود، حمزة بن حبيب، وعلي بن حمزة الكسائي النحوي. الشام: بها قرأ ابن عامر[4].

بعد المقدّمة ، بدأ بسورة الفاتحة، فكان أوّل عنوان في الكتاب « ذكر اختلافهم في فاتحة الكتاب» ، فأورد الآيات التي اختلف فيها القراء، ثم البقرة ، فسورة آل عمران... وهكذا إلى نهاية سور القرآن[5] ، بسورة الناس. حيث يحتجّ لكلّ قارئ من القرّاء بقراءته ، معتمدا في حجّته على القراءات المشهورة ، دون الخوض في القراءات الشاذة .

---

[1] . الحجة في القراءات السبع ، ص62 .

[2] . ينظر : الحجة في القراءات السبع ، ص61 .

[3] . ينظر: الحجة في القراءات السبع ، ص 62 .

[4] . ينظر: الحجة في القراءات السبع ، ص61 .

[5] . حمودي زين الدين، الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري ، ص154.

5 ـ منهجه :

يمكن تلخيص منهج ابن خالويه في كتابه في الآتي:

• توخي الإيجاز والاختصار والسهولة من غير استطراد مملّ، أو أسلوب معقّد. يقول في المقدّمة:" وقاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار "[1].

• عدم إيراد السند عند عرض القراءات إلا لضرورة .

• عدم تكرار القول في المسألة الواحدة، إذا تمّ عرضُها ، وتبيينُ وجْه التعليل والحجة فيها. و الاكتفاء بالإحالة إلى موضعها .

• الأخْذ بلغة العرب والاعتماد عليها، فهي وإنْ اختلفت حجّة، والميل إلى لغة أهل الحجاز.

• عدم الرجوع إلى تفسير المعنى وعدم التعرّض لإعراب الشواهد المحتجّ بها إلّا نادرا.

• الاستقلال بالرأي والحجة ، وعدم التعصّب لإحدى المدرستين البصريّة والكوفيّة، وعرْض الآراء على محك النقد والترجيح . فقد يعرض دون ترجيح، وقد يرجح بأدلّة يراها، وقد يختلف عنهما بآراء متحرّرة. هذه النزعة في ابن خالويه جعلت المستشرق برجستراسر يقول عنه: " في حلب أخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة، ونهج فيها نهجا جديدا، لأنه لم يتبع طريقة الكوفيين، ولا طريقة البصريين، ولكنه اختار من كليهما ما كان أحلى وأحسن"[2].

• الاعتماد على الرواية والسماع ، فاللغة عنده تؤخذ سماعا ، ولا تقاس والاستشهاد بالأدلة على ذلك. وتخطئته بعض المعالجات التي أوردها القراء[3].

5 ـ مصادره:

موضوع الكتاب هو القراءات، ومن ثمّ فالقرآن الكريم هو أساسه، وهو المصدر الرئيس فيه. أما المصدر الثاني فهو الحديث النبوي الشريف،وإنْ كان قليلا. فقدْ استشهد ابن خالويه بحوالي خمسة عشر حديثا،كما استشهد بالشعر من مختلف العصور ؛الجاهلي

---

[1] . ينظر : ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، ص62 .

[2] . ينظر : ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، ص31 ، 32 ، 33 .

[3] . ينظر : الحجة في القراءات السبع ، مقدمة المحقق: ص30.

والإسلامي والأموي . وأكثر ما يُورد الشّاهد الشّعري دون نسبته إلى قائله ، وقليل يُنسبه[1].
فالكتاب حافل بالآراء المختلفة للمدرستين البصرية والكوفية.

6 ـ قيمته :

تتجلى قيمته في أنّ مؤلفه أراد أنْ يفرد كتابا مستقلا يتناول القراءات في مجال الاحتجاج للقراء السبعة، سهلا ، واضح المعاني، محدّد الألفاظ[2]. وهو ما تحقق له؛ فقد تميّز الكتاب بصراحة الأفكار، ووضوح المعاني وتحديد الألفاظ، والوصول إلى الهدف من أقرب طريق وأيسر سبيل. وهي ميزات تمثّلت في كلّ صفحاته، وسطوره ؛ فهو يقدّم خلاصة مهذّبة، واضحة المعالم، بيّنة السمات في قراءات القرآن الكريم، والاحتجاج بها. فالقارئ إذا في أشدّ الحاجة إلى هذا الكتاب للوقوف على القراءات القرآنية في ضوء النحو واللغة من ناحية، ولأنه أقدم كتاب ظهر في القراءات السبع هو وحجّة الفارسي من ناحية أخرى[3]. فقد عرض القراءات في ضوء النحو واللغة عرضا جذّابا، وبأسلوب جزل، وعبارت مختارة لا يبعد القارئ عنه، ولا يجعل الملل يتسرّب إلى نفسه، يعطيك النتيجة في صراحة ووضوح من غير أنْ يجهد النفس، أو يتعب العقل، ومن غير استطراد ينسي الموضوع الأساس[4]. إضافة إلى ذلك فقد تضمّن قراءات لم ترد إلا عن طريقه[5]. وقد اعتمد في تناوله القراءات والاحتجاج بها على ثقافته الواسعة في اللغة والنحو[6].

7 ـ مآخذه:

• عدم الالتزام بمنهجه وخروجه عنه. فقدْ خرج عن قاعدة اعتداده برسم المصحف[7]. ففي الآية الكريمة ﴿ **بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ الأنعام: 52 ، قال: " يقرأ بالألف، وبالواو في موضع الألف، مع إسكان الدال". ثم قال:" والحجة لمن قرأ بالواو: أنه اتبع الخط، لأنها في السواد

---

[1] . ينظر: حمودي زين الدين ، الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري ، ص157.
[2] . ينظر: حمودي زين الدين، الدراسات اللغوية خلال ق4هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 2005، ص157.
[3] . ينظر: ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، ص30.
[4] . ينظر: ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، ص19.
[5] . ينظر: ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، ص33 .
[6] . ينظر: حمودي زين الدين ، الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري ، ص 156.
[7] . ينظر: ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، ص34 .

بالواو ، وليس هذا بحجة قاطعة، لأنها إنما كتبت بالواو كما كتبت الصلاة والزكاة"[1] . وفي هذا مخالفة صريحة للمنهج مع أنّ هذه القراءة قراءة ابن عامر ، وابن عامر من القراء السبعة.

• مع إيمانه بالرواية والسماع ، إلّا أنه أحيانا لا يستطيع أنْ يتخلّص من النزعة النحوية التي تؤمن بالعلة، وتقدّس المنطق[2].

---

[1] . ينظر: ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، ص140 .

[2] . ينظر: الحجة في القراءات السبع ، ص35 .